

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
كلية الآداب والحضارة الإسلامية
قسم التاريخ

عنوان المقياس:

علم المخطوط

دروس موجهة لطلبة ماستر 1 تخصص تاريخ الغرب الإسلامي

إعداد الأستاذة: نصيرة عزرودي

مدخل تمهيدي:

إنّ الكوديكولوجيا علم يستمد أصوله ومقوماته من أعمال الفيلولوجيين الكلاسيين الفرنسيين منذ القرن السابع عشر، خصوصاً تلكم التي قام بها الرهبان البندكتيون في الكنائس والأديرة كالراهب مونتفوكون [1741] (Montfaucon) م الذي يعتبر كتابه Bibliothecabibliothecarum، أي مكتبة المكتبات أو ببليوغرافيا خزائن الكتب من أهم مصادر هذا العلم، وبالرغم من اتفاق المختصين في هذا المجال على استقلالية العلم، فإنهم اختلفوا في تعريف مفهومه وتحديد مكوناته.

إن الكوديكولوجيا عند ألفونس دان (Alfonse Dain) - وإليه ينسب وضع هذا اللفظ Codicologie- هو العلم الذي يهدف إلى دراسة المخطوط باعتباره قطعة مادية دون الاهتمام بالخط. وبهذا تستقل الكوديكولوجيا عن الباليوغرافيا التي كانت تعني علم المخطوط بالإضافة إلى «علم الخطوط القديمة»

إن هذا الاستقلال جعل مهمة الكوديكولوجي تشبه من بعض الوجوه مهمة الأركيولوجي الذي يهدف إلى إعادة بناء القطعة الأثرية المكتشفة لتمكّنه من دراسة حضارة من الحضارات الماضية. إنه جزء من التاريخ يدرس الكتاب المخطوط بوصفه موضوعاً مادياً، أي بوصفه وعاء للنص.

لهذا اقترح أحد العلماء البلجيكيين مازي (Masai) عبارة «آثارية المخطوط» (archéologie du manuscrit) للتعبير عن علم المخطوط فقال: " الكوديكولوجيا هي أركيولوجيا الكتب التي تعتبر أعلى وأنفس آثار حضارة معينة".

وبرّر مازي هذه التسمية بأن لفظ كوديكس (Codex) اللاتيني الذي يكون جزءاً من كلمة كوديكولوجيا (codicologie) يستثني كل ما ليس بكتاب كالقراطيس واللفائف والرقم الطينية وما مائلها من الأوعية القديمة التي يطلق عليها اللاتينيون لفظ Volumen، ويعني باللاتينية اللفافة أو الطومار بالتعبير الشرقي.

وللخروج من هذا الغموض، لجأ بعض العلماء إلى استعمال عبارة أعم وأوسع من شأنها أن تعبر عن كل ما هو مكتوب، بما في ذلك اللفائف واللوحات الطينية، وهي الكوديكولوجيا الوسيطة (codicologie médiévale) بمعناها الواسع الذي يشمل «الكوديكس» بالإضافة إلى الأوعية القديمة سالفة الذكر. وأخيراً، اقترح الفيلولوجي البلجيكي جليبيري (Gilbert Ouy) عبارة «وثائقية المخطوط» (archivistique du manuscrit) «، لأن الكوديكولوجي الذي يبحث بحثاً مادياً في مجموعات المخطوطات يكاد يشبه في طريقته ومنهجه في البحث تلك الطرق التي يستعملها الوثائقي في بحث الوثائق ودراستها.

وفي محاولة للنهوض بعلم المخطوطات وإيماناً منهم بتقدمه وتطويره، ارتأى المختصون في هذا المجال والذين كانوا يفكرون ويعتبرون أن دراسة المخطوط ما كانت إلا إحدى الوسائل لدراسة التحولات الثقافية في مجتمع من المجتمعات، أن يعتمدوا مقارنة معاكسة تتجلى في جعل التاريخ الثقافي أداة ووسيلة للبحث في تاريخ المخطوط. وقد يتم هذا بدراسة الأرصاد الضخمة من المخطوطات المحفوظة في خزائن العالم دراسات خاصة تمكنهم من الإجابة عن العديد من التساؤلات مثل: ما عدد المخطوطات التي نسخت في جهات خاصة في فترة معينة من فترات التاريخ؟ وما الوسائل المستعملة لإنجازها؟ وكيف كانت التكلفة؟ وما المردود الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لهذه العمليات؟ إلى غير ذلك من التساؤلات التي كانت تخامرهم عندما كانوا يحاولون وضع المخطوط في محيطه المادي والتاريخي والجغرافي. وهنا يلجأ الكوديكولوجيون إلى ركوب البحث الكمي في دراسة علم المخطوط،

لأنه هو الطريق الوحيد الذي قد يمكن من تموقع الكتاب في سياق إنتاج الكتب في عصره ويمكن من تقدير الخصائص الفردية للمخطوطات في الزمان والمكان. ولتحقيق هذه الأهداف، عمل الفرنسيون في الثلاثينيات من القرن الماضي على تأسيس معهد في إطار المركز الوطني للبحث العلمي (C.N.R.S) لدراسة المخطوطات دراسة كوديكولوجية سموه " معهد البحث وتاريخ النصوص".

وكانت الشعب البارزة فيه هي: شعبة المخطوطات اليونانية، وشعبة المخطوطات اللاتينية، وشعبة المخطوطات الفرنسية الوسيطة ومخطوطات عصر النهضة، وقد أضافوا فيما بعد شعبتين لدراسة المخطوطات العبرية والعربية لما تبين لهم أن الدراسات الكوديكولوجية الخاصة بمخطوطات الشرق الأوسط شبه منعدمة؛ كما تؤكد لديهم أن مناهج البحث والقواعد التي وضعوها لدراسة المخطوطات الغربية قد يمكن تطبيقها في دراسة المخطوطات الشرقية.

وقد جهزوا هذا المعهد الفريد بمختبر علمي لدراسة المخطوطات دراسة علمية مستعيرين من أجل ذلك تقنيات علم الفيزياء وعلم الكيمياء لصيانة المخطوطات والحفاظ عليها كالتحليل الكيميائي للأمددة والأحبار والأوعية؛ كما استعملوا ما يسمى بالهولوغرافيا (holographie) التي تمكنهم من المقارنة بين الخطوط والبتارديوغرافيا (bétaradiographie) لمعرفة ما يسمى بالفليغران (filigranes) أو علامات الكاغد المائية وغيرها من التقنيات التي حلت مجموعة من المشاكل المطروحة على مستوى المخطوطات كان حلها من قبيل المستحيل حتى الآن كقراءة الحروف التي اندثرت وفك رموز النصوص التي محيت أو انطمس بعضها لسبب من الأسباب.

وعلى الرغم من إحداث شعبة في هذا المعهد لدراسة المخطوط العربية كوديكولوجياً، فإن النتائج لم ترق إلى ما وصلت إليه باقي الشعب، بما في ذلك الشعبة العبرية. فبقيت الكوديكولوجيا العربية حقلاً بكرأ لم يهتم به إلا في العقود الأخيرة من القرن الماضي، وذلك من خلال مجموعة من الدراسات القليلة التي نشرها ثلة من المستشرقين الهولنديين أو بعض الفرنسيين أمثال فون كونسفلد (Von Koningsfeld) وفيتكام (Withkam) وفيرز (Wiguers) وديروش (Déroche) وآخرين يمكن عددهم على رؤوس الأصابع. وأما تلكم الدراسات حول المخطوط العربية التي وضعها بعض الرواد من المستشرقين والمحدثين من العرب منذ النصف الأول من القرن الماضي كـ"الخطاطة العربية" (ArabicPaleography)، 1905م (للعالم موريتز (Moritz) و"الكتاب الإسلامي (The Islamic Book) المؤلفه توماس أرنولد (T. Arnold) وأدولف كرومان (A. Grohmann) و"الكتاب العربي (The Arabic Book) للعالم الدنماركي جوهانيسبيرسون (Johannes Pederson) و"الكتاب العربي المخطوط إلى القرن العاشر الهجري" لصلاح الدين المنجد وغيره من ذوي الاختصاص كقاسم السامرائي في كتابه عن

علم الاكتناه - أقول إن تلكم الدراسات وهذه الأعمال على أهميتها واهتمامها بالمخطوط العربي، من حيث النشأة والنساخت والتجليد والوراقة والخط وغيرها، لم تجب عن التساؤلات التي يطرحها علم المخطوط الحديث وفق مكوناته وقواعده وأساليبه. شأن هؤلاء المحدثين عرباً ومستشرقين شأن أسلافنا العلماء - رحمة الله عليهم - فيما يخص العناية بالمخطوطات. فلا يستطيع أحد أن ينكر أيديهم البيضاء على هذا التراث؛ فقد قيدوا أوابده ووضعوا كتب الفهرسات والتراجم والمؤلفات التي اهتمت بالكتاب المخطوط كتابةً وقلماً وصناعةً وتجليداً وتذهيباً واصطلاحاً وتجارةً وما إلى ذلك مما عبر عنه الأقدمون بالوراقة التي جعلها ابن خلدون شاملةً للانتساخ والتصحيح والتفسير وسائر الأمور الكتابية والدواوين، غير أنها لم تتعرض للتقنيات والجزئيات والحفريات والمعالجات التي تفرضها مقومات الكوديكولوجيا الحديثة ومكوناتها.

ما مكونات هذا العلم إذن؟ وما العناصر الأساسية التي يجب معالجتها وتناولها لتأسيس علم مخطوط عربي؟ وما المهام والوظائف المنوطة بهذا العلم؟

إن مكونات علم المخطوط العربي وعناصره ووظائفه لا تختلف كثيراً عن مكونات الكوديكولوجيا الغربية، ما دامت المناهج والقواعد الحديثة التي وضعت لدراسة المخطوط الغربي يمكن تطبيقها على المخطوط الشرقي، بالرغم من الفوارق الكثيرة بين الشرق والغرب. وأول مهام الكوديكولوجي غربياً، كان أو شرقياً، هي وضع القوائم والكشافات لمجموعات مخطوطات الخزائن تمهيداً لوضع فهراس علمية مبنية على قواعد ثابتة. فإذا خطا الغربيون خطوات مهمة في هذا المجال، فإن التراث العربي المخطوط ما زال يفتقر إلى كشاف شامل لهذا التراث بالرغم من الجهود المبذولة هنا وهناك في مختلف جهات المعمور. ولتحقيق هذه الغاية، يجب القيام بمسح شامل لهذا التراث على مستوى البلاد العربية، ثم البلاد الإسلامية ثم نختم بإحصاء للمخطوطات العربية المحفوظة في خزائن العالم

وقد يمكن هذا الإنجاز من تحقيق بعض العناصر الأساسية لتأسيس علم مخطوط عربي، وهي وضع فهراس علمية أولاً، ثم وضع الفهارس الموحدة (catalogues collectifs) التي تعتبر اللبنة الأولى لوضع فهرس دولي موحد يضم جميع المخطوطات العربية، ثم القيام بفهارس حسب الفنون كفهارس المخطوطات الطبية والفلاحية وكتب الصنعة وغيرها، ثم فهارس بالمخطوطات الفريدة والنادرة، وأخرى بالمخطوطات المؤرخة ([6])، وأخرى بالمخطوطات القديمة أو الأصلية، وأخرى بالمزخرفة والخزائنية، أو فهارس خاصة بمخطوطات عالم واحد مختصرة أو مطولة، إلى غير ذلك من الفهارس العلمية التي نراها وضعت لتراث الغرب، وظهور بعض الأعمال من هذا القبيل في جهة من الجهات وبشكل انفرادي قد لا يعني أننا في الطريق القويم للقيام بهذه المهمة الأساسية من مهام علم المخطوط العربي. وإذا كانت الفهرسة من عناصر علم المخطوطات القليلة التي تمارس في العالم العربي والتي يمكن اعتبارها مكوناً أساسياً من مكونات علم المخطوط، فإن اختلاف المناهج وتضارب الآراء بين المشتغلين بها من حيث النمط المتبع والبطاقة النموذجية لا تساعد على

البت في هذه القضية بتاً نهائياً يمكننا من المرور إلى باقي المكونات كالقيام بوضع ما يسمى بـ«فهارس الفهارس.»

إن أول محاولة شبه رسمية لهذا النوع من الفهارس هي تلكم المحاولة التي قام بها المستشرق الألماني بروكلمان في الجزء الأول من كتابه الكبير "تاريخ الأدب العربي"، بالرغم من ندرة الفهارس الخاصة بالتراث العربي المخطوط حتى نهاية القرن التاسع عشر وهو الزمن الذي وضع فيه هذا المستشرق كتابه (1898 م). وقد تتابعت المحاولات إلى الثمانينيات حين وضع العالم العراقي كوركيس عواد كتابه "فهارس المخطوطات العربية في العالم" مروراً بالمستشرق الفرنسي فاجدا في كتابه "دليل الفهارس وقوائم المخطوطات العربية (1949 م)" وويسمان (Huisman) في كتابه "المخطوطات العربية في العالم"، ثم كتاب فؤاد سيزكين "تاريخ التراث العربي". ولا يفوتنا هنا الإشارة إلى المحاولات الطموحة في هذا المجال التي يضطلع بها كل من معهد المخطوطات العربية ومعهد آل البيت لبحوث الحضارة الإسلامية في الأردن.

ويبقى التراث العربي المخطوط حتى الآن مفتقراً لهذه العملية التي من شأنها إعطاء فكرة عن أرصدة المخطوطات العربية في العالم، وبالتالي تبرز إلى حد ما وضعية هذا التراث ومدى اهتمام أهل الاختصاص به. ومما يدخل في صميم الكوديكولوجيا القيام بوضع فهارس النسخ والمجمعين وهواة الكتب ومجموعات المخطوطات أو الخزائن. لا يخفى على الباحثين في التراث القديم وأصحاب التحقيق تلكم المشاكل التي صدرت عن النسخ طوال التاريخ الإسلامي. إن جهل النسخ والسرعة في النسخ واختلاف الأنواع والمذاهب والعقائد والاتجاهات السياسية وغيرها وما ترتب على ذلك من تصحيف وتحريف وسقط وخلل - كل ذلك خلّف أثره في التراث المخطوط، الأمر الذي يدعو إلى القيام بمجموعة من الأعمال العلمية لمعالجة هذه المشاكل يكون أولها وضع فهارس للنسخ ومونوغرافيات خاصة بهم تمكن الكوديكولوجيين من التعريف بهم والبحث في حياتهم وسلوكهم وتخضعهم لنظرية الجرح والتعديل على غرار ما فعل المحدثون برواة الحديث. أما البحث في الخزائن ومجموعات الكتب وفي أصحابها ومالكها وفي مصادر المخطوطات وتناقلها بين الخزائن والدول والأشخاص وما شابه ذلك قد يمكن المختصين من الإجابة عن بعض التساؤلات التي تؤرقهم وتشغل بالهم مثل التساؤل عن الأيدي التي تناولت الكتاب وتصفّحته وتملكته وقرأته وحشته وعلقت عليه، وعن المكتبات أو المجموعات الخطية التي كان ينتمي إليها المخطوط، ثم عن الطرق التي مر منها في تناقله بين هذه المجموعات إلى أن استقر به الأمر في خزانة معينة. إن من شأن هذا البحث أن يساعد على اكتشاف الأسباب التي دعت إلى ضياع مخطوط معين بعدما استفاد منه المؤلفون ونقلوا منه أو اقتبسوا. وما أكثر تلكم المؤلفات التي اقتبس منها وضاعت مع الزمن! وقد حاول بعض المحدثين من الغيورين على هذا التراث أن يعملوا على إيجاد المفقود من الموجود، فجمعوا مجموعات من النصوص التي فقدت أصولها

من بطون ما هو موجود من كتب التراث، فسلكوا طرقاً ووضعوا قواعد للبحث عن هذه المصادر وتلكم النصوص.

ويدخل في هذا الإطار البحث عن أسماء مؤلفي الكتب المجهولة المؤلف، وما أكثرها في كتب التراث العربي! إن كتب التراجم والفهرسات والمؤلفات البيبليوغرافية العربية ملأى بالمصنفات التي لا نعرف لها مؤلفاً. وقد يمكن العثور على هذه الأسماء، بالرغم من الصعوبات التي يفرضها مثل هذا البحث الذي لا يستطيع خوض غماره إلا ذوو التجربة من جهازة العلماء المتمرسين على التعامل مع التراث.

وفي هذا الإطار كذلك، تطرح قضية مصطلح علم المخطوط، وهو حقل ما زال بكاراً. إن غياب معجم بهذه المصطلحات يترتب عليه القصور في الوصف وعدم الدقة في الفهم والتعريف. فما أوفر تلكم الألفاظ الخاصة بالمخطوطات لا نفهم معناها، منها الفارسي والتركي والهندي والعربي! وما أكثر تلكم الحالات التي تواجهنا في مجال الاختصاص نحتاج إلى الألفاظ للتعبير عنها والتعريف بها!

إن معالجة هذه القضايا وما ماثلها مما يدخل في صميم علم المخطوط من طرف ذوي التجربة والعلم الواسع والإحاطة الكاملة بكتب التراث والتعمق في معرفة الكاغد والحبر والجلد والرق والتفسير والأقلام والزخرفة والتصوير والخطوط وما إلى ذلك هي التي تقعد العلم وتضبطه وتقننه. يقول أحد المحدثين: «إن علم المخطوطات تجارب تحتاج إلى التقعيد، وقواعد تحتاج إلى المصطلحات، واصطلاحات تحتاج إلى التعريفات، وضوابط تحتاج إلى التقنين، ومعارف تحتاج إلى التدوين، وخبرة تحتاج إلى التلقين». ومما يدعو إلى التفاؤل هو تلكم المبادرات التي تجلت في إقامة ندوات دولية خاصة بمخطوط الشرق الأوسط نال منها المخطوط العربي حظه كالندوة الدولية عن الكوديكولوجيا في باريز سنة 1984م، وندوة اصطانبول سنة 1986 م، وندوة كلية آداب الرباط سنة 1992 م عن "المخطوط العربي وعلم المخطوطات"، وندوة مؤسسة الفرقان بلندن سنة 1993 م: "دراسة المخطوطات الإسلامية بين اعتبارات المادة والبشر"، وندوة باريز سنة 1994م، والندوات الأخيرة في إيطاليا وفي معهد المخطوطات بالقاهرة الذي لا يستطيع أحد أن ينكر جهوده في هذا المجال. كل هذه الندوات قد تمخضت عن أعمال طبع معظمها كما طبعت إلى جانبها أعمال تدخل في صميم الكوديكولوجيا العربية كالكتاب الذي نشرته ثلة من الفرنسيين بإشراف الأستاذ ديروش عن الكوديكولوجيا العربية و"معجم المصطلحات التقنية والبيبليوغرافيا" *الذي نشره العالم الكندي آدم كادجيك (A. Gacek). وبالرغم من هذه المحاولات الطموحة الفردية، فإن علم المخطوط العربي ما زال يخبو. وإذا أردنا له الوقوف على رجليه ويخطو خطوات علمية ناجحة على غرار ما حدث عند الغربيين، فلا بد من إحداث مؤسسة على مستوى الفضاء

العربي تكون مرجعاً يرجع إليه للبتّ في القضايا سالفة الذكر وفي غيرها ومكاناً تتداول فيه المعالجات المقترحة الخاصة بهذه القضايا، مستفيداً من التجربة الغربية في مجال الكوديكولوجيا، متتوراً بعقول أسلافنا النيرة ومستقطباً لذلك مجموعة من خيرة أهل العلم وذوي الاختصاص والتجربة المعاصرين المتمرسين بالتعامل مع المخطوطات الذين مات معظمهم وبدأت تجنح للغروب شمس من بقي منهم. وإن غياب هذه المؤسسة التي يمكن أن تكون البؤرة التي تصب فيها جهود هؤلاء الأعلام والتي يمكن اعتبارها بمثابة المحتسب يعني تشجيع مواصلة الأبحاث الفردية في مجال لن يتقدم ويتطور إلا في إطار العمل الجماعي والاستمرار في ترك الحبل على الغارب في ميدان من الميادين الحيوية في صناعة العلم وتخريجه. 1.

أولاً: دلالة علم المخطوطات: Codicologie

هو دراسة المخطوط بالمفهوم الحديث باعتباره قطعة مادية، والمصطلح من وضع العالم الفرنسي ألفونس دان (Alfonse Dain)، والكلمة مركّبة من اللفظة اللاتينية (Codex) كوديكس، وتعني
في اللاتينية ولوجوس Logos تعني علم، بحث في اليونانية، يدعي وضعه كل من الفيلولوجيين ألفونس دان A. Dain وشارل سمران ch. samaran، وكان هذا الأخير قد اقترح قبل ذلك لفظ كوديكوغرافيا codicographie الذي لم يحظ بإجماع الباحثين، فاحتفظ به للتعبير عن المرحلة الأولى أو القسم الأول من علم المخطوط، وهي مرحلة التحليل والوصف، وقد استقر الأمر في الأخير على لفظ كوديكولوجيا الذي دخل المعجم الفرنسي لاروس Larousse سنة 1959م، وقد يراد به عند القدماء مفهوم الوراقة، أو كلّ ما يتعلّق بالمخطوطات من كتابة، وصناعة، وتجارة وترميم، وما إلى ذلك. 2.

يعرّفه أحمد شوقي بنين: " هو دراسة كلّ أثر لا يرتبط بالنص الأساسي، وبالتالي بحث العناصر المادية للمخطوط، وبعبارة أخرى هو علم يهدف إلى دراسة كلّ ما هو مكتوب في الهوامش من شروح وتصحيحات وما إلى ذلك من معلومات عن الأشخاص الذين تملكوه أو نسخوه أو قرأوه أو استعملوه أو وقفوه ثم الجهة التي آل إليها، والمصدر الذي جاء منه ثم العناصر المادية المتعلقة بصناعة المخطوط من ترتيب، وتوريق، وترقيم، وغير ذلك، ثم تاريخ المجموعات، ووضع القوائم والفهارس العلمية، والكشافات وفهارس الفهارس وغيرها. 3.

أمّا الأستاذ قاسم السامرائي فيصطلح عليه بعلم بديل من صميم المخطوطات اسمه "علم الإكتناه" ويوسع مجاله ليشمل علوماً عديدة مثل علم الخطّ العربي، والتحقيق العلمي، وعلم

1- أحمد شوقي بنين، مقالات في علم المخطوطات والبحث البيليوغرافي، ط2، المطبعة والوراقة الوطنية الحى المحمدي، مراكش، 2004، ص13-20.

2- أحمد شوقي بنين، ومصطفى الطوبي، معجم مصطلحات المخطوط العربي، قاموس كوديكولوجي، ط1، المطبعة والوراقة، مراكش 2003، ص164.

3- أحمد شوقي بنين، في الكتاب العربي المخطوط، ط1، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، 2013، ص52.

المخطوطات، والفهرسة والتاريخ، ومع ذلك فهو يذهب إلى أنّ هذا العلم يشمل فنيين في اللغات الأوروبية، أولهما باليوغرافي والذي يعني به فكّ الخطوط القديمة، ورموز الكتابات الأثرية والنقوش والمسكوكات وذلك بدراسة أشكال النقود، وتطور هذه الأشكال عبر القرون، منذ أن كانت على شكل قضبان وحلقات، ومن ثم سبائك معدنية مختومة إلى أن أصبحت نقودا بمعناها المعاصر، ومحاولة قراءة وجهها وظهرها، وحل ما تحمله من رموز وأشكال، ومثل هذا التحليل يسري على الوثائق يصورها المختلفة⁴.

وثانيهما كوديكولوجي⁵ وهو علم دراسة الكتاب المخطوط وصناعته، بما في ذلك صناعة الأحبار، وفنّ التوريق أو النساخة، والتجليد، والتذهيب، وصناعة الرقوق، والجلود، والكاغد، وما يتبع كل ذلك من فنون وما يتّصل بها مثل: حجم الكراسة، ونظام الترقيم والتعقيبات، والسماعات، والقراءات والإجازات، والمقابلات، وتقييدات الوقف، وما يظهر في نهاية المخطوط، وهو ما أسميه بتقييد الختام من اسم المؤلف، واسم الناسخ، ومكان النسخ، وتاريخ النسخ، وما إلى ذلك⁶.

ويذهب ألبيرت دورلز إلى أنّ علم المخطوطات هو قبل كل شيء مجال تاريخي "إنّ الكوديكولوجيا أو أركيولوجيا الكتاب المخطوط هي المجال التاريخي الذي يدرس الكتاب المخطوط بوصفه موضوعا ماديا أو بعبارة أحسن بوصفه وعاء للنصوص⁷.

أمّا جاك لومير فقد استوعب الصورة الأثرية لعلم المخطوطات، فركّز على الجانب المادي أو الصناعي في تعريفه لهذا العلم قائلا: "يجب أن يهتم هذا العلم في نظرنا بدراسة مختلف مظاهر الصناعة المادية الأولية للكراس قبل أن يهتم بأي شيء آخر⁸.

ويضيف علم المخطوطات يراد منه إلى جانب إسهامه بمعارف دقيقة متعلّقة بتقنيات المخطوط القروسطي، المجال الذي يزودنا بمعلومات حول مصير الكتاب، وحول هوية مستكتبه، وملاكه المتتابعين، وحول طبيعة المكتبات التي يسّرت نقله إلينا، وبهذا الشكل يعتبر علم المخطوطات علما مساعدا للتاريخ، لكنه يعتبر أيضا على غرار علم الخطوط

4- قاسم السامرائي، علم الاكتناه العربي الإسلامي، ط1، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 2001، ص19.

5- بالرغم من أنّ قاسم السامرائي في اصطلاحه "علم الاكتناه" يكون قد أغلق الباب على الكوديكولوجيا وعاد إليها من النافذة، لأنّه رفض هذا المصطلح ثم عاد ودسّه في كتابه، بقوله أن علم الاكتناه يضمّ مجالين كبيرين أولهما كوديكولوجي، وثانيهما باليوغرافي. مصطفى الطوبي، علم المخطوطات في العالم العربي وقضية المنهج، محاضرة ألقاها في مركز روافد للدراسات والأبحاث، بتعاون مع مركز لندن للاستشارات والدراسات والتدريب، دورة تدريبية دولية في "تحقيق النصوص وعلم المخطوط" استمرت على مدى 3 أيام بمدينة فاس. (رابط المحاضرة: <https://www.youtube.com/watch?v=x19uoLFQQgE>).

6- قاسم السامرائي، المرجع نفسه، ص19-20.

7- مصطفى الطوبي، مقالات في علم المخطوطات، ط1، دار القلم للطباعة والنشر، الرباط، 2000، ص81.

8- جاك لومير، مدخل إلى علم المخطوط، ترجمة: مصطفى الطوبي، إشراف وتقديم: أحمد شوقي بنينين، ط1، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 2006، ص26-27.

القديمة علما مستقلا هو السند الهام لكلّ بحث فيلولوجي أو تاريخي حول حضارة العصور الوسطى. 9

ويكون جاك لومير من هذا المنطلق مخلصا بشكل كبير للحفر المبني على الملاحظة، ونجد هذا التوجه حاضرا عند الأركيولوجي "ليون جلسان" في كتابه "تمهيد لعلم المخطوطات" أكثر منه عند جاك لومير.

أما الباحث الخبير "عبد الستار الحلوجي" فهو يجعل من علم المخطوط وعاءً لكلّ قضايا المخطوط العربي بدءا من تاريخه وانتهاء بتحقيقه، حصره في ستة عناصر، وفي ذلك يقول: "وفي تقديري أنّ علم المخطوط يقوم على دعائم ستّ ويدخل تحت مظّته ستة موضوعات أو محاور أساسية." 10

وهي كالتالي: تاريخ المخطوط، ثم الكيان المادي للمخطوط، الذي يشمل على المادة التي يكتب عليها، والأدوات التي يكتب بها من أقلام وأحبار، ثم يتبعه بتقييم المخطوطات، ويدخل فيه توثيق النسخ المخطوطة، ومظاهره المتعدّدة كالتملّكات، والسماعات، والإجازات، فهذه الأنماط تعدّ عناصر أساسية للحكم على صحّة المخطوط وتقدير قيمته، والعنصر الرابع يندرج تحته معايير تقييمها التي تعتمد على التقاييد النصّية الموجودة في النسخ، والحفظ والصيانة، وأساليب التعقيم والترميم والتصوير، وهي طرائق حماية المخطوطات، وتجنّبها البلى والفساد، أمّا العنصر الخامس فهو الفهرسة والضبط البيبلوغرافي، ودخل تحته تقنيات فهرسة المخطوط، ومشكلات الفهرسة، وفهارس المخطوطات العربية في العالم، وأدوات حصر تلك المخطوطات، وأخيرا العنصر السادس الذي خصّه بالتحقيق والنشر، وضمّنه بدايات التحقيق على أيدي علماء الحديث، ومناهج العلماء المحدثين من العرب والمستشرقين، وخطوات التحقيق ومراحله والأدوات التي يستعين بها المحقق على أداء عملية التحقيق. 11

عموما يُقصد بعلم المخطوط "العلم الذي يتناول الكتاب المخطوط من حيث مكونات الورق أو المادة المكتوب فيها، والطّي وصناعة الكرايس، والترتيب(أي مسألة كتابة النصّ في علاقته الزمنية بطي الفرخة أو صناعة الكراسة، وتركيب الصفحات(أو دراسة التناسبات الممكنة بين درج أو أدراج النصّ وطرر الصفحة، والحزم والتسطير، والنمنمة، والزخرفة، والتذهيب، والتفسير، أو التجليد، ومن جهة أخرى هو العلم الذي يعنى بالنساختة في المخطوط transcription بكل ما تحمله من معاني(بداية النصّ، نهاية النصّ، حرد المتن، والوقف، والإجازة، والقراءة، وقيد التملك، وقيد البيع، وقيد الشراء، والأدعية، والعبارات الشاردة، والفوائد، وقيود الصيانة، والفضاءات الاستهلاكية المزخرفة والمكتوبة، وعاوين الأبواب،

9- جاك لومير، مدخل إلى علم المخطوط، ص35-36.

10- عبد الستار الحلوجي، نحو علم مخطوطات عربيّ، دار القاهرة للنشر، مطبعة جامعة القاهرة، 2004، ص16.

11- عبد الستار الحلوجي، نحو علم مخطوطات، ص16-17.

وعناوين الفصول، وأنواع الترقيم، والحك، والمحو، والطلس، والإحالة، والتشطيب، وما إلى ذلك).¹²

إنّ علم المخطوطات هو ضرب من الحفر عن الكتاب المصنوع بطريقة تقليدية، وقد استوعب علماء المخطوط الحفر بطرق مختلفة، فهناك من توخى الانتقاء في هذا الباب، وتوسع في محور حفري واحد مثلما فعله ليون جلسان في كتابه "تمهيد لعلم المخطوط"، إذ أفرد صناعة الكراريس كلّ جهده، وجعلها بؤرة الحفر عنده، وهناك من وسع نطاق الحفر، فجعله مستوعبا لمباحث أخرى غير صناعة الكراريس، مثل صناعة مادة الكتابة، والترتيب، وتركيب الصفحات، والتفسير، كما فعل جاك لومير في كتابه "مدخل إلى علم المخطوط" وهناك من جعل الحفر محورا ثانويا في علم المخطوطات، وجعل هذا العلم بابا تابعا للتاريخ كما هو الأمر في كتاب تاريخ الكتاب المخطوط ثلاث محاور في علم المخطوط الكمي، إذ أظهر صاحبه "بوزولو وأورنطو) بما لا يدع مجالا للشك، أنّ هذا العلم غير مستقل.¹³

ثانيا: علم المخطوطات بالوطن العربي خُطى خُتية ونتاج زهيد:

لا يزال البحث في هذا المجال الصعب حكرا على الباحثين الغربيين، ويأتي في مقدّماتهم الباحث الفرنسي فرانسوا ديروش، بينما لم يحصل الاتفاق بين الباحثين العرب الذين ولجوا هذا العلم مؤخرا، واختلفوا في حدود علم المخطوط، فبينما توسّع البعض في حدّه بأن ضمّ إليه كلّ ما يتصلّ به من قضايا التاريخ والصناعة والتّرميم والتّصوير والتّحقيق وغيرها، بينما قيّده بعضهم بالجانب المادي والصناعي المتمثل في الرّق والحبر والتجليد وخوارج النّص وغيرها.

وعليه سأذكر كلّ ما أنتجته البيئة العربية في هذا الحقل مراعية في ذلك الترتيب الزمني، وهي كالتالي:

1- دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوغرافي: ¹⁴

هي مجموعة من الأبحاث سبق وأن نشرها في مجلات وطنية ودولية، أعاد نشرها في كتاب بعد تنقيحها، زواج بين علمين علم المخطوط والبحث الببليوغرافي، ففي المحور الأول عالج قضايا تتعلّق بالكوديكولوجيا من تعريف بها وبيان موضوعاتها من تعقّيب ونساختة وفهرسة، ونوعية العلاقة بين علم المخطوطات والتّحقيق العلمي، ثم تحدث عن قضية الفهرسة وعلاقتها بعلم المخطوطات، وظاهرة وقف الكتب في تاريخ الخزنة المغربية، وبعض تجارب فهرسة المخطوط العربي في مكتبة الفاتيكان والمكتبة الوطنية الفرنسية ومكتبة الأسكوريال، أمّا المحور الثاني المتعلّق بالبحث الببليوغرافي فإنّه يهدف من ورائه لفت النّظر إلى مشكل يعاني منه الطلبة الباحثون، وهو عدم إلمامهم ببعض الأساليب الببليوغرافية التي تعتبر من ضرورية للبحث العلمي الحديث.

¹²-مصطفى الطوبي، من أجل دراسة حفريّة للمخطوطات العربية، محاولات تطبيقية في علم المخطوطات، مركز نجويه للبرمجة والدراسات والطباعة والنشر، مصر، 2010، ص20-21.

¹³-المرجع نفسه، ص21-22.

¹⁴- أحمد شوقي بنين، دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوغرافي، ط1، المطبعة والوراقة الوطنية الحي المحمدي، مراكش، 1993.

2- مصدران جديان عن صناعة المخطوط حول فنون تركيب المداد: 15

قدّمه المختص في علم الآثار "إبراهيم شيوخ" الحديث عن أهمية كتابة معجم في علم المخطوط، شارك بهذا المقال في المؤتمر الثاني لمؤسسة الفرقان الإسلامي حول "دراسة المخطوطات الإسلامية بين اعتبارات المادة والنشر"، جرد نُصّوصه من كتب الأدب وكتب الصنعة وأبقاها كما وردت تبعاً لتصور السياق والاستعمال قارناً بعض المصطلحات بالتعريف الفني الذي يشرح دلالاته شرحاً وافياً، لكن هذا المعجم جاء أغلبه في سياق تاريخي، مركزاً على تاريخية المعجم أكثر من علمية المعجم.

3- الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات: 16

تنوزع مادته على ثلاثة أبواب: أولها عن الكتاب العربي المخطوط في المصادر، وثانيها عن الكتاب العربي المخطوط كما وصل إلينا، وثالثها النماذج.

وعنوان الكتاب لا يعبر تعبيراً دقيقاً عن محتويات الكتاب؛ ففي حديثه عن صناعة المخطوط نراه يتحدث عن الورق والمداد والتجليد والخط، ولكنه لا يذكر شيئاً عن أساليب كتابة المخطوط، والاختصارات والرموز التي كانت تستخدم، وكيفية تصويب الأخطاء، والإلحاق بالحواشي، وغير ذلك من الأمور التي يصعب فهم النص واستيعابه بدون معرفتها، يضاف إلى ذلك أن من يقرأ الكتاب لا يخرج بتصور واضح أو باهت عن علم المخطوطات. 17. كما يُعلّق عليه مصطفى الطوبى بقوله: "أنّ هذا الكتاب لا علاقة له بالكوديكولوجيا، فهو تجميع للتقاييد أي ما يسمى بحدرد الختم والتقييدات". 18

4- مقالات في علم المخطوطات: 19

هي مجموعة من الأبحاث قدّمها المختص المغربي في علم المخطوط "مصطفى الطوبى" حاول من خلالها أن يبرز آراء ثلثة من علماء الفيلولوجيا المحدثين حول الكوديكولوجيا أو علم المخطوطات بمفهومه الحديث. عالج فيه إشكالية هامة تتعلق بمدى استقلالية علم المخطوطات وعلاقته بالمعارف الأخرى خاصة علم التحقيق العلمي وعلم التاريخ، وقدّم حصيلة التجارب الغربية في هذا العلم منها ما كتبه ألفونس دان في كتابه: Les manuscrits، وبسط الإسهامات الجادة لجاك لومير،

15- إبراهيم شيوخ، مصدران جديان عن صناعة المخطوط: حول فنون تركيب المداد، ضمن كتاب: دراسة المخطوطات الإسلامية بين اعتبارات المادة والنشر، المؤتمر الثاني لمؤسسة الفرقان الإسلامي ديسمبر 1993، إعداد رشيد العناني، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 1997.

16- أيمن فؤاد سيد، الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، ج2، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1997.

17- للمزيد حول نقد "عبد الستار الحلوجي" للكتاب انظر هذا الرابط

<http://wadod.org/vb/showthread.php?t=950>

18- مصطفى الطوبى، علم المخطوطات في العالم العربي وقضية المنهج، محاضرة ألقاها في مركز روافد للدراسات والأبحاث، بتعاون مع مركز لندن للاستشارات والدراسات والتدريب، دورة تدريبية دولية في "تحقيق النصوص وعلم المخطوط" استمرت على مدى 3 أيام بمدينة فاس. (رابط المحاضرة:

<https://www.youtube.com/watch?v=xI9uoLFQQgE>

19- مصطفى الطوبى، مقالات في علم المخطوطات، ط1، دار القلم للطباعة والنشر، الرباط، 2000.

وأطروحة أحمد شوقي بنين، ومن زاوية أخرى تتبع اقتراحات بعض المختصين مثل: كارلا بوزولو "Bozzolo" و "أوزيو أورنطو" Ezio Ornato ، وما قامت به "ألبيرت دورلز"، علاوة على الحديث عن بعض حوامل المعرفة كالبردي والرّق.

5- علم الاكتناه العربي الإسلامي: 20

هو عبارة عن محاضرات منقّحة أعطاها لطلبته في جامعة الرياض، درس فيه مجموعة من العناصر الخاصة بعلم المخطوط.

انفرد السّامرائي بهذا المصطلح من جهة، ومن جهة أخرى عدّه علماً أساسياً يشمل الباليوغرافيا والكوديكولوجيا، ويجعل من موضوع درسه: الوعاء المعرفي العربي الإسلامي (المخطوط) هدفاً في حد ذاته²¹، متابعاً الكوديكولوجيين الذين يرون أن الكتاب المخطوط "مادة أساسية تدرس لذاتها لا كوسيلة لتحقيق غاية أخرى، وأنه لا يمكن دراسة نص من النصوص دون معرفة الأسس المادية والظروف التي أنتج فيها المخطوط، وكذا معرفة الطريقة التي وصل بها إلينا هذا النص"²²، وهو بذلك يكون قد تجاوز النظرة القديمة عند العرب والمسلمين التي تجعل من علم المخطوطات علماً مساعداً مهمته مساعدة محقّقي النصوص ودارسيها.

وإذا كانت الكوديكولوجيا هي الشرط الثاني من علم الاكتناه، فإن موضوعات كثيرة لم يعرض لها السامرائي، فمما هو تقني غابت صناعة التجليد (التسفير)، ومما هو نسقي غابت الوراقة والوراقون، والمجموعات الخطية وتاريخها، وهواة الكتب، وطرق التأليف أو أشكاله، وحرود المتن، وغير ذلك، كما تحدث عن موضوعات لا علاقة لها بالباليوغرافيا ولا بالكوديكولوجيا مثل موضوعات التحقيق التي صبها تحت ستة عناوين²³.

6- معجم مصطلحات المخطوط العربي: 24

تعتبر أول محاولة عربية في هذا المجال، كانت أولى طبعاته عام 2003، إلى أن صدرت الطبعة الخامسة²⁵، وذلك بسبب الزيادة والحذف والتنقيح الذي يفرضه تقدّم البحث²⁶.

²⁰- قاسم السّامرائي، علم الاكتناه العربي الإسلامي، ط1، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 2001.

²¹- قاسم السّامرائي، علم الاكتناه العربي الإسلامي، ص17.

²²- أحمد شوقي بنين، دراسات في علم المخطوطات والبحث الباليوغرافي، ص 11.

²³- للمزيد حول نقد هذا الكتاب انظر، فيصل الحفيان، علم الاكتناه العربي الإسلامي، : مجلة تراثيات – العدد الثاني ، ص 137 – يوليو 2002، ص ص 173- 199.

²⁴- أحمد شوقي بنين، ومصطفى الطوبي، معجم مصطلحات المخطوط العربي، قاموس كوديكولوجي، ط1، المطبعة والوراقة، مراكش 2003.

²⁵- جاء المعجم في طبعته الخامسة تحت عنوان: مصطلحات الكتاب العربي المخطوط(معجم كوديكولوجي)، به حوالي ثلاثة آلاف مصطلح، وأفاض فيه الباحثين أحمد شوقي بنين ومصطفى الطوبي في المقابل الفرنسي والإنجليزي لكل مصطلح.

وهذا المعجم اعتمد في وضعه على معجم "دونى موزرال" (Denis Muzerelle)، ومعجم آدم جاسك (Adam Gacek)، ورغم الجهد المبذول من قبل المعدّين له، فإنّ الباحث أحمد شوقي بنبين يقرّ أنّ من الجهود المبذولة في إنجاز هذا العمل من حيث المصطلحات وشرحها وترتيبها، فإنّه يؤكد أنّ اللغة العربية مازالت تفتقر إلى معجم لألفاظ الكتاب المخطوط يجري فيه تأصيل المصطلح، وتُحدّد فيه المفاهيم تحديداً علمياً صحيحاً ويقوم بوضعه مجموعة من ذوي التجربة والمراس من أصحاب الاختصاص، بإشراف مؤسسة أو مجمع يتمّ فيه تبادل الخبرات والاستفادة من نتائج البحوث المنشورة في مجال الكتاب العربي المخطوط والكوديكولوجيا العربية، ويؤكد أنّه يتأسّف عن عدم وجود ملحق في هذا الاتجاه في مجامع اللغة أو المراكز العلمية العربية، على تعدّدها واهتمام الكثير منها بشؤون المخطوطات. 27

ورغم الفائدة الكبيرة لهذا المعجم، فإنّ بعض تعريفاته قاصرة وبعضها الآخر لا يندرج تماماً تحت علم الكوديكولوجيا، كما جاء الكثير من مصطلحاته وفق ما اتّفق عليه أهل المغرب، وفيه مخالفة كبيرة لما اصطلح عليه المشاركة ممّا يستوجب إثبات ما اصطلح عليه المشاركة أمام ما يمثله من مصطلح أهل المغرب، والسّعي إلى توحيد هذه المصطلحات في الدراسات المستقبلية. 28

7- نحو علم مخطوطات عربيّ: 29

كان هدفه من تأليف هذا الكتاب هو تأصيل وتحديد دقيق لعلم المخطوط، ونستشفّ ذلك من قوله: «أنّ ترسم لعلم المخطوطات العربيّ صورة واضحة المعالم، دقيقة الأبعاد، نستجلي منها محاوره الأساسية، والقضايا التي يناقشها أو التي ينبغي أن يتناولها بالدراسة، صورة تقتصر على هذا العلم دون سواه، وتخلو من أيّ تزيّد لا لزوم له...» 30

عالج مفهومه لعلم المخطوط العربيّ على دعائم ستة، حدّد بها العلم وقصّر بها مجالات دراسته، وهي:

- 1 (تاريخ المخطوط.
- 2 (الكيان المادي للمخطوط.
- 3 (توثيق وتقييم المخطوطات.
- 4 (الصيانة والترميم والتصوير.

26- لمعرفة خصوصيات هذا المعجم في طبعاته الأولى انظر، عائشة لروي، المعجم الكوديكولوجي العربي من المظان إلى النشر الإلكتروني عبر الإنترنت، مقال في مجلة رفوف، مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا، جامعة أدرار، العدد 11، مارس 2017، ص 63-69.

27- أحمد شوقي بنبين، في الكتاب العربي المخطوط، ط1، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، 2013، ص41.

28- فرانسوا ديروش، المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي، ترجمة: أيمن فؤاد سيّد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 2005، (مقدمة المترجم)، ص36.

29- عبد الستار الحلوجي، نحو علم مخطوطات عربيّ، دار القاهرة للنشر، مطبعة جامعة القاهرة، 2004.

30- عبد الستار الحلوجي، نحو علم مخطوطات عربيّ، ص8.

5) الفهرسة والضبط الببليوجرافي.

6) التحقيق والنشر.

8- مدخل إلى علم المخطوطات: 31

كان في أصل هذا العمل بحث قدّمه الباحث "مصطفى الطوبي" للسلك الثالث، والذي كان عبارة عن ترجمة إلى اللغة العربية لكتاب "جاك لومير" (Jacques Lemaire) بعنوان "مدخل إلى علم المخطوطات" Introduction à la codicologie المنشور سنة 1989م تحت إشراف المختصّ أحمد شوقي بنين، والتي تعود مسودتها إلى سنة 1995م، وكانت أول رسالة في علم المخطوطات تُقدّم في الجامعة العربية، تقدّم بها في جامعة محمد الخامس بالرباط، وإذا كان هذا الكتاب يعالج مشاكل ومواضيع المخطوط العربي، فإنّ الباحث قد استفاد من الآليات والأدوات العلمية والتقنية التي استعملها العالم البلجيكي في تناوله لعلم المخطوطات.

9- المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي: 32

هي دراسة مهمة لأحد كبار المتخصصين في الكوديكولوجيا على مستوى العالم، من تأليف فرانسوا ديروش (Déroche François)، جاء في مدخل واحد عشر فصلا، تناول فيه تطور شكل الكتاب حتى استقراره على الشكل المعروف حاليا، ودراسة الحوامل أو موادّ الكتابة، البردي والرّق، من حيث طرق الصناعة والاستخدام وخصوصياتهما، والطرق المجربة لفحصهما، ومكانة علم المخطوطات في دراسة المخطوطات، شاركه في كتابة بقية المدخل كلّ من برنارد جينو B.Guineau وجون فزان J.Vezin اللذان تحدثا عن المناهج المعملية المتبعة في هذه الدراسة، سواء بالمعينة المباشرة أو بالطرق المخبرية ثم مجال هذه الدراسة. 33

10- من أجل دراسة حفريّة للمخطوطات العربية: 34

قدّم فيه مجموعة من الأبحاث تخصّ محاولات تطبيقية في مجال المخطوطات، ركّز فيها على معطياتها المادية، وهي فصول مختلفة ومتناذرة فيما بينها، من ذلك أنه جمع القول في القدس الشريف بمسألة المخطوطات المهاجرة وبمسألة بدايات النصوص مثال مخطوطات المقرئ، وبمسألة الوقف، إلا أنّ إمعان النظر يدرك أنه طبّق عليها الطريقة الحفريّة في دراسة المخطوط، وتأكّده على المادية الملحوظة على منهج الاشتغال.

11- علم المخطوط العربي: بحوث ودراسات: 35

31- جاك لومير، مدخل إلى علم المخطوط، ترجمة: مصطفى الطوبي، إشراف وتقديم: أحمد شوقي بنين، ط1، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 2006.

32- فرانسوا ديروش، المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي، ترجمة: أيمن فؤاد سيّد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 2005.

33- للمزيد من التفاصيل انظر، فرانسوا ديروش، المرجع نفسه، (قسم المقدمة)، ص24-32.

34- مصطفى الطوبي، من أجل دراسة حفريّة للمخطوطات العربية، محاولات تطبيقية في علم المخطوطات، مركز نجوييه للبرمجة والدراسات والطباعة والنشر، مصر، 2010.

35- علم المخطوط العربي بحوث ودراسات، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، 2014.

هذا العمل عبارة عن مقالات صدرت في مناسبات علمية عدة، تمّ جمعها من قبل مجلة الوعي الإسلامي، وبعد التدقيق تمّ تصنيف مادته على النحو الآتي: 1- دراسات تنظيرية، 2- تاريخ المخطوط العربي، 3- صناعة المخطوط، 4- النسخة، 5- الخطوط، 6- خوارج النّص، 7- فنون المخطوط، 8- نصوص، 9- عروض.

شارك في كتابة مواضيعها ثلّة من المتخصّصين في علم المخطوط بالوطن العربي منهم: مصطفى الطوبي، لطف الله قاري، أحمد شوقي بنين، مراد تدغوت، عبد الستار الحلوجي، أيمن فؤاد السيد.

ثانيا. دورات في علم المخطوط العربي بالوطن العربي:

1- دورة أقيمت بالمغرب تحت عنوان: "الوعاء والصنعة والتقاليد" المنعقدة بالرباط من 9 - 19 محرم 1433هـ / 5 - 15 دجنبر 2011م، في إطار الجهود المتواصلة التي تبذلها مؤسسة الرابطة المحمدية للعلماء سعياً منها إلى تكوين وتأهيل جيل جديد من الباحثين المتخصصين في علم المخطوطات، نظم مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث بالرباط، بشراكة مع معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، الدورة العلمية التكوينية الأولى في علم المخطوطات تحت عنوان: «المخطوط العربي: الوعاء والصنعة والتقاليد»، وذلك من 9-19 محرم 1433هـ/5-15 دجنبر 2011م، وتعدّ هذه الدورة الأولى من نوعها على المستوى العربي، شارك فيها أزيد من 60 متدرباً من بلدان عربية مختلفة - بالإضافة إلى المغرب - منها: مصر، وسوريا، وعمان، والبحرين، وقطر، والسعودية، وتونس، وليبيا؛ من العاملين في فهرسة المخطوطات بالمكتبات المغربية وغيرها من مكتبات العالم الإسلامي، وكذا الباحثون بالمراكز العلمية التابعة للرابطة المحمدية للعلماء، وأطرها أساتذة محاضرون من المغرب وخارجه. 36

2- دورة في "علم المخطوطات" من تنظيم معهد المخطوطات العربية بالقاهرة الدورة التدريبية الأولى في علم المخطوطات، وذلك في شهر ديسمبر 2011 بالمملكة المغربية. والتي سيقوم بالمحاضرة والتدريب فيها نخبة من الأساتذة المتخصصين، خلال مدة 14 يوماً، بإجمالي 60 ساعة تدريبية. 37

3- دورة تدريبية تمهيدية حول "كوديكولوجيا المخطوط الإسلامي" Islamic manuscript Codicology، وذلك في الفترة من 6 إلى 13 فبراير 2012 بالقاهرة، من تنظيم هيئة المخطوطات الإسلامية TIMA الكائن مقرّها في قلب مدينة "كامبردج" بالتعاون مع مركز تحقيق النصوص بجامعة الأزهر الشريف، و دار الكتب المصرية، وجمعية المكنز الإسلامي، ومركز الأمير الوليد ابن طلال للدراسات الإسلامية بجامعة كمبردج، وقد اهتمت الدورة بالدراسة التاريخية التفصيلية لصناعة المخطوط العربي الإسلامي.

4- الملتقى الدولي الأول حول "علم صناعة المخطوط الواقع والآفاق" يومي 23 - 24 أبريل 2012م بكلية الحقوق والعلوم السياسية جامعة زيان عاشور بالجلفة، من تنظيم مخبر جمع

³⁶-للمزيد حول هذه الدورة انظر الرابط التالي:
<http://wadod.org/vb/showthread.php?p=18647#post18647>

³⁷- للمزيد حول هذه الدورة انظر الرابط التالي:
<https://groups.google.com/forum/#!topic/arabicmanuscripts/OMXwBGIYmCU>

دراسة وتحقيق مخطوطات المنطقة، وتم نشر أعمال هذا الملتقى في مجلة التراث، وهي مجلة دولية صادرة عن مخبر دراسة وتحقيق مخطوطات المنطقة وغيرها، في عددین صدرا في أفريل سنة 2012م.

ثالثا: معهد المخطوطات العربية وجهوده في نشر ثقافة "علم المخطوط" بين الرؤية والأهداف:

كان همّ المعهد التابع لجامعة الدول العربية في القاهرة منذ إنشائه عام 1946م العناية بالمخطوط وعلومه، إذ جمع المخطوطات العربية مصوّرة من كلّ مكتبة عامّة وخاصّة في أماكن شتى من العالم، وكان يحرص دوما على أن يُصوّر كلّ ما يلقاه من العلوم البحتة التي اشتغل بها العرب.

اهتمّ المعهد في مرحلته الأولى بنشر النّصوص والدراسات المعنية بالعلوم العربية الصّرفة من خلال مجلته التي بدأ بأول إصداراتها سنة 1955، وكذلك كان لا يترك خبرا يتعلّق بهذه العلوم من عقد ندوات أو مؤتمرات أو نشر كتب إلا يذيعها في نشرته الإخبارية، والمطلّع على المجلة يجد هذه النّصوص والدراسات مبنوثة في تضاعيف أعدادها، والمقلّب في صفحات نشرته يلقى أخبارا وفيرة عن التراث الإسلامي المخطوط.

أ. نشاطات المعهد الخاصة بعلم المخطوط:

تبني المعهد مؤخرا مشروعا لترجمة كتب علم المخطوطات ونشرها 38، وإقامة العديد من الدورات والندوات

في علم المخطوط العربي نذكر منها:

- إقامة احتفالية سنوية خاصة بيوم المخطوط العربي توافق الرابع من أبريل (يصادف اليوم الذي أنشئ فيه المعهد) آخرها في 2018 بعنوان: "القدس عندما يكون التراث أسيرا"
- دورة في علوم المخطوط سنة 2016، تقديم مصطفى الطوبي وأحمد شوقي بنبيين.
- دبلوم علوم المخطوط بدءا من أول ماي 2017 لمدة أربع فصول دراسية.
- دورة تثقيفية في علوم المخطوط العربي من 18 إلى 22 يونيو 2017م.
- دورة تثقيفية في علوم المخطوط العربي من 23 إلى 27 يوليو 2017م.
- دبلوم في علوم المخطوط بتاريخ 3 - 9 سبتمبر سنة 2017م.
- دبلوم في علوم المخطوط في ديسمبر 2018م.
- دورة متخصصة في علم المخطوط العربي شهر مارس 2019م.

38- كان آخرها ترجمة كتاب "المخطوطات لألفونس دان"، حيث تمّ الإعلان عن الانتهاء من ترجمته في مفكرة صفر ربيع الأول 1440هـ الموافق لشهر نوفمبر 2018.

ب - ببليوغرافيا الدراسات الخاصة بعلم المخطوط:

1- ترجمة معجم آدم جاسك:

تعدّ محاولات المستشرق آدم جاسك التشيكي الأصل والكندي الجنسية من أهم المحاولات لوضع معجم خاص بعلم المخطوط العربي، وضعه بالإنجليزية (The Arabic Manuscripts Tradition: A glossary of technical terms and bibliography)، وهو كتاب قيّم على الرغم من أنه يحتوي على مجموعة من المصطلحات التي ترتبط بعلم عربيّة أخرى أكثر من ارتباطها بالكتاب العربي المخطوط وعلمه، ومع ذلك فهو عمل رائد ويرجع الفضل لصاحبه في اقتحام ميدان جديد طالما كان موضع إهمال وعدم اكتراث. 39

قسّم آدم جاسك عمله، سواء في أصله أم ملحقه إلى قسمين:

الأول: معجم المصطلحات المرتبطة بالمخطوط العربي، صناعةً ونسقاً، وفهرسةً وتحقيقاً... إلى غير ذلك.

والثاني: قائمة ببليوجرافية قدمت بياناتٍ لكثير من الأوعية؛ كتباً ومقالات دوريات وُبُحوث مؤتمرات... وغير ذلك.

1- تقاليد المخطوط العربي، معجم مصطلحات وببليوغرافية (الببليوجرافية): 40

العنوان الأصلي للكتاب، صدر عام 2001م باللغة الإنجليزية تحت عنوان:

The Arabic Manuscripts Tradition: A glossary of technical terms and bibliography

ثم بعد سبع سنوات - أي: عام 2008م - صدر الملحق الذي استكمل ما فات الأصل، وأضاف ما جدّ من المؤلفات خلال تلك السنوات الفاصلة بينهما.

قام الأستاذ محمود محمد زكي بترجمة قسم الببليوجرافية من هذا العمل إلى العربية، وهو باحث للماجستير بمعهد المخطوطات العربيّة بالقاهرة، وأحد المعنّين بحقل المخطوطات والتراث العربي، فضلاً عن دراسته للدبلومة المتخصّصة في مجال المكتبات بكلية الآداب بجامعة القاهرة، وقام بمراجعة الترجمة والتقديم للنسخة العربية الدكتور فيصل الحفيان مُنسيق البرامج بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة، وواحد من الأساتذة المتخصّصين والمهتمين بحقل التراث العربي وعلم المخطوطات.

احتوت القائمة في نُسختها العربية على ما يتجاوز ألفاً وخمسمائة (1500) تسجيلة ببليوجرافية لكتب، ومقالات، وتقارير، وبحوث مؤتمرات في حقل المخطوطات العربية؛ تاريخاً وفهرسةً، وتحقيقاً وصيانةً وترميمًا.

39- أحمد شقي بنين، في الكتاب العربي المخطوط، ط1، دار أبي رُقراق للطباعة والنشر، 2013، ص40-41.

40- آدم جاسك، تقاليد المخطوط العربي معجم مصطلحات وببليوغرافية، إعداد محمود محمد زكي، تقديم ومراجعة فيصل الحفيان، معهد المخطوطات العربية، 2008.

ومن الجدير بالذكر أن موادَّ البيلوجرافية في النُّسخة الإنجليزية كانت مُوزعة بين الأصل والملحق، ومن ثمَّ نهض المترجم بمهمتين رئيسيتين في سياق إضافة للنسخة العربية: المهمة الأولى: التعريب، وتمَّ فيها:

1 - ترجمة العناوين الرئيسيَّة والفرعية إلى العربية، بغضِّ النظر عن لغة المواد التي وردت تحتها.

2 - إعادة المواد - التي نُفِخَرها المؤلف من العربيَّة إلى الحرف اللاتيني - أي: نقلها نقلاً صوتياً إلى العربية لغةً وحرفاً.

ومن ثمَّ كان لا بد من فصل المادة العربية عن المواد باللغات الأخرى (إنجليزية - فرنسية - ألمانية - إسبانية... إلخ) بعد أن كانت كلاً واحداً، وذلك لاستحالة الجمع بين الحرف العربي واللاتيني في سياق هجائي واحد.

وكانت هناك بعضُ التنبُّصرات أو الملاحظات التي وضعها المؤلِّف في النسخة الإنجليزية بين معقوفتين، وقد تمَّت ترجمة ما يرتبط منها بالمواد العربية فحسب.

المهمة الثانية: الدمج والجمع بين الأصل والملحق:

وقد تطلَّب ذلك إعادة ترتيب للمواد المتضمنة بالقائمة، عربية كانت أم أجنبيَّة. 41

وينقسم هذا العمل قسمين: 42

الأول: قائمة بيلوجرافيَّة مرَّتبة ترتيباً موضوعياً.

الثاني: فهو إعادة ترتيب للمواد هجائياً بالمدخل الرئيسي، وهو ما أسماه المُعدُّ الأصلي (كشافاً) هجائياً، لولا أنه أثبت البيانات البيلوجرافية الكاملة دون الإحالة إلى جسم المرجع نفسه، ولذلك أطلق المترجم على هذا القسم (البيلوجرافية الهجائية)، وهو اسم أكثر دقة بالطبع.

وكما سلف فقد رتَّب القسم الأول من القائمة ترتيباً موضوعياً على 12 موضوعاً عريضاً، هي:

1 - الدراسات العامة والتمهيدية.

2 - مواد الكتابة وأدواتها.

3 - مكونات المخطوط (الكراسات والملازم والترقيم).

4 - النص: تكوينه وتنسيقه.

5 - انتقال المعرفة.

6 - الخطوط وعلم الخط العربي (الباليوغرافيا).

7 - فنون الكتاب.

8 - الدراسات القرآنية.

9 - التحقيق ونقد النصوص.

10 - الفهرسة.

41- آدم جاسك، تقاليد المخطوط العربي معجم مصطلحات وببيلوغرافية، مقدمة فيصل الحفيان، ص10-

11.

42- إيناس عباس توفيق خضر، عرض لكتاب ((تقاليد المخطوط العربي))، مجلة الفهرست عن دار الكتب المصرية، العدد 29، يناير 2010.

11 - الصيانة والترميم.

12 - فهارس المخطوطات والمجموعات ونحوها.

وتحت كل موضوع عريض من هذه تفرعات موضوعية أضيق.

وقد أخذ المترجم على نفسه الالتزام - ما استطاع - بالنص الأصلي، لكن دون غض الطرف عن الأخطاء الواضحة؛ (كأخطاء النقل الصوتي، أو الإملاء)، وأتخذ من الحواشي مُتَنَفِّسًا حُرًّا للتصحيح، والاستدراك، والاستكمال دون مُبالغة أو إفراط، كما حرص أيضًا على مُراعاة بعض الأمور التي منها:

استخدام المختصرة (Editing ed)؛ للتعبير عن كل أدوار التَّحْقِيق؛ كالضَّبْط والعناية، والقراءة والتصحيح، بهدف التوحيد وتجنُّب الخطأ أو الخلط.

بالنسبة للعناوين التي صدرت بأكثر من لغة، فقد تَسَنَّنَتْ في أرجاء القائمة، وهو ما دَفَع بالمترجم إلى الربط بينها باستخدام علامة (x)، مع استخدام علامة (...) للدلالة على مواطن الحذف.

الالتزام بمنهج المؤلف الأصلي في ترتيب مداخل أسماء المؤلفين في البيبلوجرافية الهجائية؛ حيث تم احتساب (أبو وابن) في الترتيب، مع اتِّباع نظام الترقيم نفسه، رغم مُخالفته لبعض تقنيات الفهرسة المعروفة.

وكعادة القوائم الحاصرة قَدَّم العملُ بيانات بيبلوجرافية كاملة عن كل عنوان، مُتضمَّنًا (اسم المؤلف - عنوان العمل - بيانات النشر - عدد الصفحات أو المجلدات)، ويُضاف إلى ذلك بيانات المؤتمر إن كان بحثًا في مؤتمر، وبيانات الدورية إن كان مقالاً في دورية، مع إضافة بعض الملاحظات الإضافية لبعض العناوين ك: تبصرة (ترجمة ل).

وقد اتسمت المعلومات بقدر وافر من الدِّقَّة والاكتمال، وجاءت الترجمة على المستوى ذاته من الدِّقَّة والأمانة، وكان للحواشي التي أضافها المترجم - على قَلَّتْها - دورًا في توضيح ما غمض، واستكمال ما نقص، والإشارة إلى ذي صلة أو علاقة.

وخرج العمل في مجلد واحد جيد التجليد، وجاءت الصَّفحة على عمود واحد، مع تَمييز المداخل الموضوعية؛ العريضة والفرعية، وميَّزَتْ حروفُ الهجاء أيضًا في البيبلوجرافية الهجائية، واتَّسَمَت الطباعة عمومًا بالوضوح والجودة، وخلا العملُ من أخطاء الطباعة والإملاء وغيرها، وهو أمر يُحسب له.

وعلى ذلك يُمكن القول: إنَّ هذه القائمة في نسختها العربية المترجمة تُعدُّ مرجعًا ذا أهمية وثقل لقطاع لا يُستهان به من الباحثين والمتخصصين في حقل من أكثر الحقول المعرفية ثراءً وجاذبية، وقد بَدَل مُعدُّ العمل الأصلي جهدًا واضحًا في الحصر والتجميع، والضبط والفهرسة، وبذل المترجمُ جهدًا مماثلًا في نقله إلى العربية، وإعادة بنائه على نسق أكثر إحكامًا وإفادة.

واحتوى العمل أيضًا على كمٍّ لا بأس به من المواد بمختلف اللغات؛ عربية، وإنجليزية، وفرنسيَّة، وغير ذلك، فضلًا عن تنوع المواد المتضمنة؛ كتبًا، ومقالاتٍ، ومؤتمراتٍ، بجانب تقديم بيانات بيبلوجرافية مُكتملة ودقيقة إلى حدِّ بعيد، وكان الكتاب على المستوى الشكلي ممتازًا؛ طباعةً، وتنسيقًا، وتحريرًا.

وجاءت مُقدمة النُّسخة العربية على نسق نهجي مُحكم، حاوية لكلِّ ما يتطلبه التقديم لهذا العمل

به وبمعالمه وطريقة تنظيمه، والصُّعوبات التي واجهها المترجم في إعداده وكيفية اجتيازها

لها، وينبغي هنا التأكيد على أنّ المقدمة العربية كانت أكثر وفاءً ومنهجية من مقدمة صاحب العمل الأصلي.

1 - لم يكن استخدام كلمة "مصنفة" للتعبير من الببلوجرافية الرئيسية مناسباً بما يكفي؛ إذ تنسحب هذه الكلمة لدى المتخصصين في حقل الببلوجرافيا على تلك الطريقة، التي تتخذ من إحدى خطط التصنيف أساساً لها في الترتيب، وهو ما لم يتوافر في هذا العمل؛ لذا كان من الأفضل استخدام كلمة "موضوعية"، فهي أكثر ملائمة وتعبيراً عن المطلوب.

2 - كان من الأجدر أن يتم ترقيم التسجيلات الببلوجرافية داخل العمل؛ إذ أدى عدم الترقيم إلى إحداث تداخل بصري لدى المطلع على القائمة والمستخدم لها، ولا أظن أن الالتزام بنسق النص الأصلي كافٍ لتبرير ذلك؛ فهي مسألة شكلية لم تكن لتضير العمل أو تخل بأمانة الترجمة، ويسري ذلك على علامات الترقيم المستخدمة في إعداد التسجيلات، إذا اختلفت بين عمل وآخر، ولم تلتزم التوحيد.

3 - وردت في بعض التسجيلات تبصرة واحدة في صيغيتين: "ترجمة لـ"، و"مترجم عن"، وهما مصطلحان يُعبران عن ذات المفهوم، وكان من الأجدر اعتماد أحدهما بغرض التوحيد. وأخيراً، فإن جودة هذا العمل وتميُّزه في نسخته العربية يدعوان بالضرورة إلى اقتنائه في المكتبات المعنية بحقل التاريخ والتراث، والمخطوطات والوثائق العربية، فضلاً عن المكتبات العامة بالطبع؛ ليكون متاحاً للباحثين والمتخصصين في تلك المجالات وما يرتبط بها.⁴³

2- تقاليد المخطوط العربي، معجم مصطلحات وببيلوغرافية (معجم المصطلحات): 44

ضمّ معجم المصطلحات الخاصة بالمخطوط العربي، وتحرك في دائرة واسعة، فلم يقتصر على المصطلحات المتعلقة بالصناعة، أو حتى بعلم المخطوط الذي يُقرن الصناعة والأمور النسقية، بل شمل - إضافة إلى ذلك - كل ما يتصل بالمخطوط عامة، ليتسع لاستيعاب قضايا الفهرسة والخط (الباليوجرافيا) وتاريخ النصوص.

تضمّن المصطلحات التي استُخدمت في الأدبيات من قبل النخبة الحاكمة من الخلفاء، والسلاطين، وأصحاب الدواوين، وكذلك النخبة المثقفة من الكتاب، والمحدثين، والخطاطين، واللغويين، والعلماء، إضافة إلى الحرفيين والصناع، وعشاق الكتب، والمفهرسين. اتّسم عموماً بالخصائص التالية:

- 1- الكمّ الكبير من المصطلحات التي احتواها.
- 2- البناء المتميز الذي تجلّى في طريقة عرض المادة على سنن لم يتخلف، أ يتفاوت، من أول مصطلح حتى آخر مصطلح.
- 3- الاستقصاء، وذلك على مستويات:

⁴³- إيناس عباس توفيق خضر، عرض لكتاب ((تقاليد المخطوط العربي))، مجلة الفهرست عن دار الكتب المصرية، العدد 29، يناير 2010.

⁴⁴- آدم جاسك، تقاليد المخطوط العربي معجم مصطلحات وببيلوغرافية، معجم المصطلحات، ترجمة مراد تدغوت، تقديم ومراجعة فيصل الحفيان، معهد المخطوطات العربية، 2010.

أ- مستوى الصّور اللغوية المختلفة للمصطلح نفسه، مهما كان الفرق طفيفا بين صورة وأخرى.

- مستوى التّرادف، فالمفهوم الواحد قد تكون له مصطلحات عديدة، ارتباطا بحقبة تاريخية، أو منطقة جغرافية.

ب- مستوى المعاني المختلفة للمصطلح الواحد.

4- الحرص على التوثيق، وهذا ما يشجع شيوعا لا تُخطئه عين، متمثلا في الاقتباسات الكثيرة من المصادر العربية الأصيلة.

5- الرّبط بين المصطلحات، وبخاصة المترادفة، من خلال نظام دقيق للإحالات.

6- استخدام لغة محكمة مناسبة للعمل المعجمي، لا تختزل فنّويع في العجز عن الفهم، ولا تترهل، فنُشئت القارئ، وتبعُد به عن إصابة المعنى بصورة مباشرة. 45

ملاحظة على معجم المصطلحات:

- اشتغل مع الجذر عندما تعامل مع المصطلحات، والجذر لا يخدم العلم، لأن المعاجم التي تشتغل الجذر هي معاجم لغوية، والمعاجم الاصطلاحية تبتعد عن الجذر، ولعل الاشتغال

بالجذر يجعل الباحث يجد صعوبة في التعامل مع المعجم بشكل جيد.

3- الكتاب العربي المخطوط: مقدمات تاريخية: 46

صدر عن معهد المخطوطات العربية بالقاهرة بالتعاون مع جمعية المكنز الإسلامي بعد عمل استمر عامين الترجمة العربية لكتاب: " le livre manuscrit arabe: Préludes à une histoire" للمستشرق الكوديكولوجي فرانسوا ديروش⁴⁷(François Déroche)، وقد قام بنقله عن الفرنسية الباحث: مراد تدغوت بحث في المخطوط بمعهد المخطوطات، بعنوان:

45- آدم جاسك، تقاليد المخطوط العربي معجم مصطلحات وبيبلوغرافية، معجم المصطلحات، (مقدمة فيصل الحفيان)، ص 9-10.

46- فرانسوا ديروش، الكتاب العربي المخطوط، مقدمات تاريخية، ترجمة مراد تدغوت، مراجعة فيصل الحفيان، معهد المخطوطات العربية، 2016.

47- فرانسوا ديروش، باحث وأكاديمي فرنسي ولد سنة 1952، درس بفرنسا والتحق بمدرسة المعلمين العليا سنة 1973، حصل على الدراسات المعمقة في علم المصريات، مبرز في الآداب القديمة ومتخصّص في الإسلام كما في علم المخطوطات وعلم الكتابات القديمة تحديدا، ويشغل على انتقال المخطوط القرآني بشكل أخصّ، زاول التدريس والبحث في إستانبول وسويسرا وفرنسا أستاذ كرسي القرآن في كوليج دو فرانس، توجه إلى علم الكوديكولوجيا المتعلق بالمصاحف، تقلب في عدة وظائف متنوعة مع مؤسسات علمية بجنيف ومؤسسة الفرقان الإسلامية والأكاديمية الملكية ببرشلونة، يشغل عدة مناصب منها: مراسل لمعهد فرانسوا(أكاديمية النقوش والآداب الجميلة)، ورئيس المؤتمر الدولي للفن التركي، له مؤلفات منها: "فهرس المخطوطات العربية" (1983)، "المصاحف القرآنية سنة 1983، و"التقليد العباسي: القرآن فيما بين القرنين الثامن والعاشر" (1992). و"القرآن" (2014)، 1983م، وكتاب "مصاحف الأمويين" "Qur'ans of the Umayyads, A Preliminary Overview" سنة 2013، سيصدر بترجمة لمراد تدغوت قريبا، وألف كتاب عن المخطوطات التي كتبت بالخط العربي، وهي مجموعة من المقالات والبحوث التي أشرف عليها. التعريف به أخذته من محاضرة مراد تدغوت أثناء الاحتفالية بكتابه بمعهد المخطوطات. انظر الرابط:

"الكتاب العربي المخطوط: مقدمات تاريخية"، وتولى مراجعته مدير المعهد: د. فيصل الحفيان.

والكتاب عبارة عن أربع محاضرات، ألقاها ديروش (Déroche) في المكتبة الوطنية الفرنسية

في نوفمبر عام 2001، وذلك في إطار الموسم الثقافي الذي يحمل اسم ليوبولد ديليل Léopold Delisle

ثم قام بعد نحو أربعة أعوام (سنة 2005) بتحريرها في أربعة فصول: الأول بعنوان: كتاب الله، والثاني: الرجال والكتب، والثالث: الخصوصية المغربية، والرابع: أوراق الذهب وبتلات الزهور، وصدرت عن المكتبة الوطنية الفرنسية عام 2005.

حصل هذا الكتاب المترجم على جائزة رفاة الطهطاوي سنة 2017 في دورته الثامنة من طرف المركز القومي للترجمة بمصر.

أهميته وخصائصه:

- يعد هذا الكتاب - على صغر حجمه - من الكتب المهمة، التي سعت للتأريخ لنشأة الكتاب العربي المخطوط، ودراسة مختلف الظواهر الفيلولوجية والباليوغرافية والكوديكولوجية التي ارتبطت بهذه النشأة، درس تاريخ المخطوط العربي وأسباب ظهوره، وانتشاره، وتعدُّده، وأهميته، ودوره الكبير في تطور الحضارة الإسلامية، والكتاب مهم جدًا للباحثين في علوم المخطوط العربي خاصة، وعلوم الكتاب والمكتبات والثقافة الإسلامية بصفة عامة، ويفتح بابًا كبيرًا للتأمل في هذه الظواهر والنظر في آراء المستشرقين فيها، سواء كانت مصيبة أو غير مصيبة.

وبالإضافة إلى أهمية المؤلف وقيمتها الكبيرة في الدراسات الكوديكولوجية عامة، وفي دراسة المخطوط العربي خاصة، فإنّ كتابات ديروش تعدُّ كتابات تأسيسية في هذا الحقل البكر، الذي تقل فيه المؤلفات التعديدية سواء باللغات الأجنبية أو باللغة العربية.

- يعكس هذا الكتاب رؤية متخصص غربي في تاريخ الكتاب العربي، كما وأنها تمتاز بالتنوع، فهي تمتزج بين التاريخ: تاريخ الكتاب العربي الأول (القرآن الكريم)، والرجال الذين اعتنوا بصناعة الكتاب بإطلاق من ناحية، والنظر إلى الجغرافيا في علاقتها بهذا التاريخ من ناحية أخرى.

- اعتنى بالكتاب العربي الإسلامي منذ نشأته مع ظهور الإسلام، والمراحل التي مرّ بها، والأشكال التي اتخذها، ويتتبع علاقاته بالكتاب في الحضارات المجاورة التي تأثر بها، وأفاد منها، ويتوقف عند ظاهرة لا تخطئها العين، هي ظاهرة ولع الشرائح العلمية والاجتماعية المختلفة بالكتاب في المجتمع الإسلامي، من العلماء والطلاب، والخلفاء والأمراء والوزراء والوجهاء عامّة، إضافة إلى أصل صناعة الكتاب نفسه؛ من النساخين والورّاقين والمجلّدين والخطّاطين، والفنانين من المصوِّرين والمزخرفين والمزّمكين وغيرهم. 48

- تحدث عن معطيات كوديكولوجية للكتاب كرجال الكتاب المصطلح عليهم وهم المزوقون والصناع.

⁴⁸فرانسوا ديروش، الكتاب العربي المخطوط، مقدمات تاريخية، مقدمة فيصل الحفيان، ص 2-4.

- قدّم بانوراما عامة حول تاريخ الكتاب، واستطاع أن يُطوِّف بالقارئ حول مجموعة الظواهر التي اعتنت بالكتاب.
- تحدث في المقدمة عن المصاحف ونشأة الكتاب العربي ككل، وفي الفصل الثاني تحدث عن صنّاع الكتاب، وفي الفصل الثالث تحدث عن الخصوصية المغربية.
- اعتنى بالجوانب الفنيّة التي ظهرت في المخطوط العربي، وخصّص فصلا خاصا بالزخارف والتزيينات الخاصة بالمخطوطات، وضَمَّن فيه أجمل اللوحات التي وقف عليها بالمكتبة الوطنية الفرنسية.
- منهج الترجمة التي اتّبعتها المترجم:
- حاول "مراد تدغوت" ترجمة كل فصل على حدة مع مراجعة لغوية ومتابعة دائمة وطويلة ومرهقة أحيانا من قبل الدكتور فيصل الحفيان.
- يغلب على المحاضرات الاستطراد، فُدِّمت لغاية التّأليف السّمعي، الذي يتّوجه به لأسماع الناس، ومثل هذا التّأليف يّستعصي على الانضباط الذي نعرفه في التّأليف البصري، ويغلب عليه التّنقل بين الأفكار، والاستطراد.
- تصرف المترجم في فقرات النصوص للحفاظ على الوحدة الموضوعية
- التعريف بالمصطلحات غير المعروفة، وإضافة التواريخ الهجرية.
- فصل المصادر والمراجع المكتوبة باللغة العربية والأجنبية.49

4- المرجع في علم المخطوط العربي:50

صدر هذا الكتاب عن معهد المخطوطات العربية، وهو ترجمة لكتاب المستشرق آدم جاسك "Arabic Manuscripts: A Vademecum for Readers"، وقام بترجمته د. مراد تدغوت، ومراجعة د. فيصل الحفيان، ويعد هذا الإصدار الكتاب الثالث ضمن سلسلة "ترجمات كتب علم المخطوط العربي"، التي تصدر عن المعهد.

تم ترشيحه كتاب في القائمة القصيرة لجائزة رفاة الطهطاوي، وحصل على المركز الأول في جائزة الشيخ حمد للترجمة "فئة جائزة الترجمة عن الإنجليزية"، خلال حفل خاص أقيم بفندق سانت ريجيس بالعاصمة القطرية الدوحة.

أهمية الكتاب:

يعدّ هذا الكتاب جامعا في باب المصطلح الكوديكولوجي العربي، ويشكّل إضافة إلى المكتبة العربية في هذا الحقل المعرفي.

قدّم أكثر من 300 مدخل ومُصنّح تشمّل - تقريبا - جميع الظواهر الكوديكولوجية (علم المخطوطات) والباليوغرافية (علم تطوّر الخط) والفيلولوجية (علم تحقّق النصوص) التي

⁴⁹-من محاضرة مراد تدغوت أثناء الاحتفالية بكتابه بمعهد المخطوطات.انظر الرابط:

<https://www.youtube.com/watch?v=VfQUyTBs2OM>

⁵⁰- آدم جاسك، المرجع في علم المخطوط العربي، ترجمة مراد تدغوت، مراجعة فيصل الحفيان، معهد المخطوطات العربية، 2016.

تَدُورُ فِي الْفَلَكَ الْوَاسِعِ لِلْمَخْطُوطِ الْعَرَبِيِّ. وَقَدْ زُوِّدَ بِنَمَازِجٍ عَدِيدَةٍ مِنَ الْأَشْكَالِ وَالصُّوَرِ التَّوْضِيحِيَّةِ الْمُسْتَقَامَةِ مِنَ الْمَخْطُوطَاتِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى رُسُومَاتٍ بِخِبْرَةٍ عَالِيَةٍ أُجْرَتْ خِصِيصًا لَهُ، تَاهِيكَ عَنِ الْمَلَاحِقِ الْمُهِمَّةِ.

إِنَّهُ كِتَابٌ مَرْجِعِيٌّ فِي بَابِهِ، يَعْني كُلَّ بَاحِثٍ فِي حَقْلِ الدَّرْسِ الْمَخْطُوطِيِّ الْعَرَبِيِّ، الَّذِي يَزْدَادُ رُسُوحًا يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ، وَلَعَلَّ مِنْ أْبْرَزِ خِصَائِصِهِ: 51

- بلغ عدد المصطلحات والمداخل خمسين وثلاث مئة مصطلح ، وهو كمّ كبير يدلّ على التتبع والاستقصاء للغة علم المخطوط العربي.

- تميّز البناء الداخلي للكلام في مضمون كلّ مصطلح بالتفصيل والتركيز معاً، ممّا يُضفي عليه مسحة الكتابة الموسوعية، ويجعل من الكتاب أشبه بموسوعة صغيرة متخصصة.

- اتّسمت المادة العلمية بالتوثيق والإحالة على المصادر والمراجع.

- أهمية الأشكال والصور التوضيحية الكثيرة، التي تفرّقت في ثنايا المادة العلمية، ممّا أضفى عليه قيمة لا يستهان بها.

- ربط المؤلف بين مفاتيح الكتاب (مصطلحاته) من جهة، وبينها وبين مضامين المادة العلمية نفسها من جهة أخرى، من خلال الإحالات الكثيرة، ممّا أضفى تماسكا على بنيته، وجعله قريب التناول من الباحث.

- ذُيِّلَ الْكِتَابُ بِمَلَاحِقٍ مُهِمَّةٍ.

منهج المترجم (مراد تدخوت): 52

- إعادة ترتيب المادة بحسب الألفبائية العربية، وكان مرتّباً على حروف الهجاء اللاتيني، إذ أنه موجّه إلى القارئ الغربي.

- العودة بلغة الكتاب وما تنأثر فيها من تعبيرات وتراكيب إلى أصولها العربية، بعيداً عن مزلق الترجمة الحرفية، وهو ما اقتضى الرجوع إلى المصادر الأصلية ومُفَاتَشَتِهَا.

- التعريف بالعديد من الألفاظ والتعابير والتراكيب التي تحتاج إلى توضيح، ولم يتوقف عندها المؤلف، ربما لأنها ليست غرضاً له.

- الرّبط بين المصطلحات التي وردت في ثنايا كلام المؤلف عن طريق الإحالات لاسيما إذا كانت مستغلة.

- زيادة بعض الألفاظ والتراكيب التي تستدعيها خدمة الكتاب، على أنّ هذه الإضافات وُضِعَتْ بَيْنَ مَعْقُوفَيْنِ [] أَدَاءً لِلأَمَانَةِ، وَحِفَاطًا عَلَى حَرَمَةِ النَّصِّ.

- إضافة التاريخ الهجري للتواريخ الميلادية التي ذكرها المؤلف.

- تقييد تواريخ الوفاة لبعض الأعلام.

- ذكر عناوين بعض التواليف التي اكتفى المؤلف بذكر مؤلفيها فقط.

- تصويب بعض الهنات التي وقعت في الأصل.

- الإبقاء على المقابل الأجنبي للمصطلحات المفاتيح بين قوسين () خدمة للقارئ العربي.

- الإبقاء على المقابل الأجنبي لأسماء الأعلام بين قوسين () حرصاً على النطق السليم للاسم.

51- آدم جاسك، المرجع في علم المخطوط العربي، مقدمة فيصل الحفيان، ص10-11.

52- آدم جاسك، المرجع في علم المخطوط العربي، مقدمة فيصل الحفيان، ص11-12.

- وإلى ذلك جرت إضافة صفة "الكريم" للقرآن و"التّصلية" عند ذكر النّبي صلّى الله عليه وسلم.

- إلحاق هوامش عديدة لأغراض التّوضيح والتّقييد والاستدراك.
- فصل المصادر عن المراجع التي جاءت جملة واحدة في آخر الكتاب وتوزيعها بحسب اللغة (العربية والأجنبية)، وذلك حتى يمكن ترتيبها على وفق حروف الهجاء لكلّ من الألفبائية العربية واللاتينية.

- تذييل الكتاب بقاموس إنجليزي عربي للمصطلحات.

5- علم المخطوط الجمالي: 53

يعالج الكتاب صورة الجمال في المخطوطات العربية تأسيسا وتقعيدا وتنظيرا، استطاع صاحبه العراقي المتميز في فن الخطّ العربي أن يخرج به من ربة التّصوّرات التقليدية والغربية، ويؤسس لنظرية عربية خالصة، سواء

في ماهيته، أو في المعرفة المتعلقة به، أو في الدّرس القائم على هذه المعرفة.
الخاتمة:

لا يزال البحث في علم المخطوطات أو الكوديكولوجيا في حاجة إلى النّشر الواسع للتعريف به، وينشد تضافر جهود الباحثين العرب للعناية أكثر بالظواهر المادية للمخطوط العربي والمخطوطات المكتوبة بالحرف العربي.

وفي محاولة للنهوض بعلم المخطوطات ندعو لعقد دورات تدريبية مستمرة من قبل مختصين من ذوي التجربة والعلم الواسع يتمّ دعوتهم خاصة في يوم المخطوط العربي (4 أبريل)، لتقديم خبرتهم الميدانية في هذا المجال، هذا الأمر من شأنه أن يُعزز ثقافة علم المخطوط بين الباحثين المهتمين بالتراث المخطوط.

ومما يدعو إلى التفاؤل هو تلكم المبادرات التي قام بها معهد المخطوطات والتي تجلت في إقامة ندوات ودورات وترجمات كتب، ممّا يجعلها مرجعا يرجع إليه للبتّ في قضايا علم المخطوط على مستوى الفضاء العربي، كونهم استفادوا من التجربة الغربية في مجال الكوديكولوجيا، ولهم الخبرة والتّمرس في مجال المخطوطات، فهذا العلم لن يتقدم أو يتطور إلا في إطار العمل الجماعي، وهو ما برهن عليه هذا المعهد مرارا وتكرارا.

الملاحق:

53- إدهام محمد حنش، علم المخطوط الجمالي، نظرية جديدة في المخطوط ومقارباته العلمية، تقديم فيصل الحفيان، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، 2017.





